# الجانب اليهودى لـمشكلة السينما

كـــان هـــناك رجل يدعى انتونى كومستوك، وكان معاديًا لخدش الحياء العام. بالطـــبع لـــم يكن يتمتع بالشعبية فى يوم من الأيام. لم تكتب عنه الصحف دون أن تســـخر مـــنه. وقد أصبح منبعا للنكات فى زمنه. وكان هذا منذ زمن طويل جدا. ومات عام ١٩١٧. واللافت للنظر أن الناس الذين كانوا ينهكمون عليه ببذاءة كانوا مـــن غير اليهود. ومما يستحق التسجيل أن الرجال الذين استفادوا من المناجرة فى المـــوبقات التـــى كان يحاربها، كانوا من اليهود. كان ثالوثا شائعا: غير اليهودى الغـــيور علـــى الأخـــلاق يحارب الانحلال الجنسى، والمحرضون عليه من اليهود يتسترون وراء السوقة من الأغيار، وصحافة الأغيار.

المعـــركة لا زالـــت مســـتمرة. فإذا ذهبت إلى أى مكان، أو ألقيت نظرة على صـــحف الـــبلاد، ســـتجد أن قضية الاستعراضات اللاأخلاقية لم تحسم أو يتوقف الحـــديث عـــنها. وهى لا تزال حية فى كل مكان من البلاد، حتى الآن. وفى كل ولايـــة تقـــريبا ســـتجد قانونا للرقابة على الأفلام ينتظر التصويت، يرفضه قدامى "الســـكيرين" والمقامـــرين، ويـــؤيده القطـــاع المهذب اليقظ من الناس. ودائما تقف المؤسسات اليهودية المنتجة خلف المعارضة تمارس ضغوطها فى صمت.

وهـــذه حقـــيقة مؤسفة. فالتزام الصمت قد يعنى اتهاما لعنصر يهودى بالفحش الأخلاقـــى المتعمد. لكن الأمر ليس على هذه الصورة. فهناك معياران فى الولايات المتحدة، أحدهما يسود إلى حد كبير فى مجال إنتاج المسرحيات، بينما يسرى الثانى ـــــ إذا سرى ـــ على الناس بصفة عامة. أحدهما مثال شرقى " إذا كنت غير قادر على تحقيق ما تريد، فعليك بتحقيق ما تستطيع".

وهـــذه النظـــرة الشـــرقية تخـــتلف جوهـــريا عـــن النظرة الأنجلو سكسونية والأمـــريكية. ومـــن هـــنا تأتى المعارضة للرقابة. فليس من الضرورى أن يكون

المنتجون من أصول سامية سيئين حسب معاييرهم هم، لكنهم يعلمون أن ذوقهم ومزاجهم يختلف عن المعايير السائدة بين الشعب الأمريكى. فإذا ما قامت الرقابة، فسيكون هناك خطر الاعتراف رسميا بالمعايير الأمريكية. وهذا ما عليهم أن يحولوا دون حدوثه. وكثيرون من هؤلاء المنتجين لا يدركون مدى فحش ما يقدمون ؛ فقد اعتادوا الأمر.

نادرا ما تجد بيتا أمريكيا لم يجأر بالشكوى من الأفلام. وربما لم توجد وسيلة للترفيه تعرضت لهذا النقد الشديد والواسع الذى تتعرض له الأفلام، بسبب ما تحتويه دائما من إغراء وفسق. وهناك، بالطبع، أفلام جيدة. لكننا كنا سنحزن لو لم يقل كل ما قيل. ونحن نؤيد ما قيل ونعتبره سلما يرتفع بنا فوق المستنقع الذى صارت عليه معظم أشكال الترفيه الشعبى.

وقد طرحت القضية كثيرا حتى لم تعد هناك ضرورة لتكرار طرحها. فالمسئولون والمنظمات يعلنون احتجاجهم بلا طائل. وضمائر المعنيين بهذه الاحتجاجات غائبة، لأنهم لا يستمعون إلا لما يمس مصالحهم المادية. والحال كذلك، فإن الرأى العام الأمريكى عاجز أمام الأفلام عجزه أمام غيرها من أشكال النفوذ اليهودى. وسيظل عاجزا حتى يفيق من هذا العجز ويسعى نحو حماية نفسه.

وفى اتهام واضح لتوجهات السينما والهيئة القومية لمراجعة الصور المتحركة، كتب فردريك بويد ستيفنسون فى صحيفة بروكلين إيجل يقول:

**"ومن جهة أخرى، فإن الأشرطة تنبعث منها روائح كريهة. إنها عبارة عن مشاهد جنسية. وكلها تشارك فى نفس الجريمة. والأمور تسير من سيئ لأسوأ. والمبرر الذى يقدم هو أن صناعة السينما تحتل المكانة الرابعة أو الخامسة فى البلاد، وأننا يجب أن نحرص على تقدمها. ويقال إن الصور المهذبة تحقق عائدا قدره حوالى ١٠٠ ألف دولار، بينما تحقق المسرحية الجنسية الناجحة ما بين ٢٥٠ ألف إلى ٢,٥ مليون دولار".**

ونُقل عن الدكتور جيمس امبرنجهام قوله: "حضرت اجتماعا لمنتجى الأفلام فى نيويورك، فكنت المسيحى الوحيد بينهم. وكان باقى الحضور ٥٠٠ شخص من اليهود غير المسيحيين".

وليس من الحكمة الآن أن نقف فى وجه شيطان السينما وأن نتغافل تماما عن القوى التى تقف وراء هذا الشيطان.

ويجب تغيير طريقة الإصلاح. فقديمًا، عندما كان قوام التركيبة العقلية العامة للولايات المتحدة آريا، كان يكفى أن تكشف عن الشر حتى يختفى. وكانت الشرور التى نعانيها بسيطة وعابرة، وكانت كلمة تذكير حادة تكفى لتقوية النسيج الأخلاقى للأثمين وتعيد الأمور إلى نصابها. أى أن الأشرار من جنسنا كان من السهل إعادتهم إلى الطريق القويم.

**لكن تلك الطريقة لم تعد ممكنة. فالضمير لم يعد موجودا لتخاطبه. ومعظم المهتمين بإنتاج الرذائل السينمائية والمسرحية لا يمكن التأثير فيهم بهذه الطريقة. فهم لا يقرون، بداية بأن ما يقدمونه قذر. وهم، ثانيا، لا يستطيعون أن يفهموا أنهم يسهمون بالفعل فى تخريب الإنسان. فهم يأخذون الاحتجاجات على محمل الهزل؛ فهم لا يمكن أن يتفهموها ويروها هراء أو غيرة أو ــ كما نسمع الآن ــ معاداة للسامية.**

**فاحذر أيها القارئ! إذا انتابك الضيق من قذارة معظم الأفلام، فستتهم بمعاداة السامية. فالأفلام من إنتاج يهود. وأنت إن حاربت الفسوق، انتقلت المعركة رأسا إلى المعسكر اليهودى؛ لأن أغلبية المنتجين منه. فأنت إذن "تهاجم اليهود".**

وإذا تخلص معسكر اليهود من الرجال والأساليب التى تلحق العار بالاسم اليهودى، فإن تلك المعركة الدائرة دفاعا عن القيم الفاضلة لن تكون لها تلك المسحة العرقية.

وإذا قمنا بتحليل لصناعة السينما فى الولايات المتحدة، سنجد أن:

- ٩٠% من إنتاج الأفلام بيد ١٠ مؤسسات فى نيويورك ولوس أنجلوس.
- كل مؤسسة من هذه المؤسسات تمتلك عددا من الوحدات الكاملة، وتمثل أكبر شركات إنتاج الأفلام فى العالم.
- هذه المؤسسات الأم هى التى تتحكم فى السوق.
- ٨٥% من هذه المؤسسات الكبيرة بيد اليهود.

• هـذه المؤسسات تشكل تنظيما مركزيا لا يضارع لتوزيع إنتاجها على آلاف دور العرض، يملك معظمها يهود من أصول متواضعة.

• الأفلام المستقلة ليست لها مراكز توزيع، إنما تباع فى سوق مفتوح.

وقـد يفاجأ كثيرون من عدم ندرة الأفلام الجيدة. فالمشكلة هى غياب الوسائل الكفيلة بتوصيل هذه الأفلام للجمهور. وتظل واحدة من أبرز مكتبات الأفلام الجميلة خلاصـة الأفلام الدرامية والتعليمية، حبيسة العلب؛ لتعثر عرضها على الجمهور. وقـد حقـق مالكـو هذه الأفلام بعض التقدم عن طريق الاستعانة بموزعين يهود لأفلامهـم. لكـن دائما ما تقف فى طريقهم تلك القوة الهائلة والصامتة التى تحول دون إدخال الفضائل والبهجة على الشاشة الفضية.

ومن حين لآخر يتمكن منتج مستقل، مثل ديفيد وارك جريفث أو تشارلز راي، مـن تقديم إنتاج يشيع البهجة والسرور، وبلا دعاية أو ضجيج. وهذه الأفلام، وما تحققه من نجاح، أقوى رد على صيحات بعض المنتجين ممن يشيعون أن الأعمال القذرة وحدها هى التى تحقق الأرباح.

وهـذه الصـيحات لهـا، بطبيعة الحال ما يبررها. فلاشك أن الأفلام المخلة، بالشـكل الـذى تسير عليه الأمور الآن، تحقق أرباحا أكبر؛ لأنها الأكثر إتقانا فى صـنعها وتحظـى بدعايـة صاخبة. وتحظى الأفلام منها التى تحوى أحط الفحش بإقبال كبير، حيث تركز دعايتها على أنها تعالج " مشكلات أخلاقية ".

لكن ذوق الجمهور تشكل بالفعل. وكل مدينة تستهدف رفع معنويات مواطنيها علـيها أن تنفق آلاف الدولارات سنويا فى محاولة لتوفير تذوق جماعى للموسيقى الجـيدة. وهـى تنجح فى مسعاها إلى حد ما، لكنها نادرا ما تحصل على مردود. ويـبدو أن الأعمـال التى تخرب الذوق العام تحقق ربحا أكبر بكثير. ومع سقوط قطـاع التـرفيه العام ــ باستثناء الموسيقى الراقية ــ فى يد جماعات لا تعرف ما تعنيه كلمة "فن"، اشتدت جاذبية الدولار بصورة عارمة.

وإذا كـان ذوق الجمهـور الآن قد أصابه كل هذا القدر من التخريب، بحيث أصـبح منتجو الأفلام يصرحون بكل الثقة قائلين "إننا نقدم ما يريده الجمهور"، فقل على الدنيا السلام. وهذا لأن كل المراقبين المحايدين يقرون بأن ذوق الجمهور هو العامل الحاسم فى تقرير ما ينبغى إنتاجه.

**إن مـــن السهل على تجار الكوكايين إقامة الدليل على أنهم إنما يلبون "طلب الجمهـــور" على المخدرات، فهم يلبون طلبه بالفعل. لكن ذلك الطلب لا يعد مبررا مقـــبولا لتوزيع الكوكايين. والحال كذلك بالنسبة للسم المعنوى والفحش البصرى الذى يحويه الفيلم العادى. والطلب الذى تخلقه هذه الأفلام مناف لقواعد الأخلاق، وإشباعه مرفوض أخلاقيًا كذلك.**

لقـد أقـر كـــارل لـــيمل، أحد المنتجين البارزين فى أمريكا، ورئيس شركة يونيفرسال للسينما، أمام إحدى لجان الكونجرس بأنه أرسل نشرة إلى دور العرض التـــى يتعامل معها عنوانها "ماذا تريدون؟". وفى ذلك الوقت، كانت شركته تتعامل مـــع حوالـــى ٢٢ ألف دار. ويقول السيد ليمل إنه كان يتوقع أن تكون ٩٥% من الطلـــبات لصـــالح الأفلام النظيفة المهذبة، لكنه قال: "بدلا من أن أتلقى ٩٥% من الطلـــبات لصـــالح الأفلام النظيفة، وجدت أن النصف أو ٦٠% منها يطلب أفلاما فاضحة، وفرنسية إباحية".

ولـــيمل نفسه يهودى مولود فى ألمانيا، ولم يعلن نسبة الطلبات التى جاءته من إخوته فى "الإيمان".

ومـــن الواضـــح الجلى أن أية محاولة لوضع حد لقلة الحياء والتفاهة التى لا تكف الأفلام عن صبها ليل نهار على رأس الرأى العام الأمريكى، تلقى معارضة يهودية. خُذ، على سبيل المثال، محاولة احتجاج الأمريكيين يوم الأحد، يوم الراحة. كـــان كل المعارضين للحركة ــ حركة إيقاظ الضمير، لا تمرير قانون ــ كلهم من اليهود، وبرروا معارضتهم على خلفية يهودية.

وفـــى كـــل مرة يدخلون فيها فى مواجهة مع الرأى العام، تجد المدافعين عنهم يهـــودا علـــى شـــاكلتهم. ففى جلسة الكونجرس المشار إليها، كان المحامون الذين تصـــدوا للدفاع عن الشركات، وبينها شركات تحمل أسماء مايرر، ولودفيج، وكوم، وفريند، وروزنتال وكلهم من اليهود.

بـــل كان هناك حاخام يهودى، قدم أبعد التفسيرات لسيطرة اليهود على السينما وكذلك للمعارضة اليهودية للرقابة على الأفلام.

قـــال الحاخام: "أنا يهودى، وأنت تعرف بقدر ما أعرف أننا ضحايا سيئة الحظ

للألسنة السليطة والحادة، وتعرف كما أعرف أن السينما جعلتنا عرضة فى بادئ الأمر للتشهير. وليست السينما المجال الوحيد الذى نتعرض فيه للإساءة، فديننا يلقى الإساءات، بل والإساءات البالغة".

ويواصل الحاخام حديثه قائلا: "لقد شعرنا بألم كبير، وشعرنا بأنه كان هناك دواء، وهذا الدواء هو الرأى العام، وماذا فعلنا؟ إننا لم نأت للكونجرس. نظمنا جمعية؛ النظام المستقل لبناى بريث، أكبر نظام أخوى يهودى فى العالم. وهى تنظم ما يطلق عليه عصبة معاداة التشهير ومقرها شيكاجو؛ وتتوحد عصبة الدفاع عن الاسم اليهودى مع الآخرين ــ فى الكنيسة الكاثوليكية، وجمعية الحقيقة، وجمعية الاسم المقدس ــ وكتبت إلى كل صناع السينما فى البلاد تطالبهم بعدم الإساءة إلى الشخصية اليهودية والدين اليهودى، وألا يسخروا منا. ونحن لا نعترض على تقديم الشخصية اليهودية، وإنما نعترض على التصوير الكاريكاتورى للشخصية اليهودية، ولاسمنا وديننا. وبعد أن شرحنا للصناع موقفنا، عينا لجنة من الرجال فى كل مدن البلاد، طالبين منهم مناشدة السلطات المحلية عدم السماح بعرض الأفلام المعدة لتشويه الشخصية اليهودية والمشاعر اليهودية".

**على أن هناك معنى خفيا فى بيان الحاخام هذا. فاليهودى يرى فى أى تعبير علنى عن الشخصية المسيحية تقليلا من شأن دينه. على سبيل المثال: إذا اضطر رئيس الولايات المتحدة أو حاكم ولايتك إلى اللجوء إلى إحالات مسيحية فى صلاة الشكر، أو ذكر اسم المسيح، فسيقابل هذا التصرف بالاحتجاج على جرح المشاعر اليهودية. وقد حدث هذا بالفعل.**

فى نفس الجلسة المشار إليها، جرى الاستشهاد بخطاب كتبه كارل إتش بيرس، الممثل الخاص لشركة أفلام أوليفر موروسكو، إلى المدير التنفيذى للشئون التجارية بشركة موشن بيكتشر، ورد فيه ما يلى: "أنا وأنت رأينا هيئات ترفض مسرحيات مثل "حياة المسيح" لأنهم رأوا فيها تهجما على العبرانيين".

ومن الواضح أن "المشاعر اليهودية" طفل مدلل يحظى برعاية أبدية، وأنه يمارس قدرا من التدخل إلى حد أن أصبحت القضية الحقيقية هى حقوق غير اليهود.

ويسـأل المدافعـون اليهود: ما الذى يجعل أمة من ١١٠ مليونٍ تشعر بالخطر مـن ٣ ملايـين؟ و"جـبهات الأغيار" تطرح نفس المسألة بصوت عال، بكل عبق الفكرة الجديدة.

**ومـن المفـيد أن نجـيب هكـذا: لماذا يحرم بلد من ١١٠ مليون نسمة من مشاهدة "حياة المسيح" على الشاشة، خوفا من أن يتضمن إساءة لليهود؟**

والإجابـة فى كلتا الحالتين ليست مسألة مقارنة بين أعداد، وإنما إقرار مفاده: بمـا أن الـيهود يمسكون بعنق الزجاجة فى مجال السينما، حيث يستطيعون التحكم بصـورة مطلقـة فيما يقدم للجمهور، إذن فهم يتمتعون من ثم بالتحكم فى مجالات أخرى.

لمـاذا لم يعرض اليهود "الرحيل شرقا" و"راعى التل" على الشاشة؟ لأن اليهود أصـحاب الكلمة الأخيرة فى السينما يجهلون الحياة الريفية الأمريكية، وبالتالى، لا يـتعاطفون معها. فاليهودى نتاج الحياة فى المدينة، وبالذات فى ذلك الكيان الغريب المسمى بالجيتو. فهو لا يرى فى الفلاح أكثر من "قروى ساذج". وسوف تركن إلى اليقين التام بأن اليانكي، الذى كان نتاجا للمزارع، هو الذى حول الفلاح إلى مزحة، وحتـى الآن فإن هذه المزحة مسئولة عن تفريغ مزارعنا من الرجال. فشخصيات "القـرويين السـذج" التـى شهدها المسرح ذات منشأ يهودى. فاليهودى نتاج حياة المدينـة، وبالذات ذلك القطاع الغريب من المدينة، حيث يلعب "الدهاة" دورًا مؤثرًا. وأمـريكا اليهودى العادى الذى يقدم الترفيه للأمريكيين هى طريق يشقه من شباك التذاكـر، إلـى الكوالـيس، ثـم إلى المطعم. وهو لا يرى حتى الآن، أمريكا إلا كضروع ضخمة عليه حلبها.

وهـنا يكمن كامل سر الفشل الأخلاقى للأفلام؛ فهى ليست أمريكية، ومنتجوها غيـر مؤهلين عرقيا لتمثيل المزاج الأمريكى وتقديمه على الشاشة. فقد انفردت قوة ضخمة غريبة على أمريكا من حيث العرق والأخلاق والقيم بالسيطرة على الإنتاج السينمائى، فآل الوضع إلى ما نحن عليه.

وهـذه المقالـة وما يتبعها من مقالات ليس الغرض منها أن نرفع أيدينا فزعا ونفضـح الأفلام. فكل الناس يفعلون هذا. والموقف من هذه الأفلام محسوم. وهناك

إجماع. فسيدات النوادي، والمعلمون، ومحررو الصحف، وضباط الشرطة، وقضاة المحـــاكم، وقساوســـة الأديان، والأطباء، والأمهات والآباء، كل هؤلاء يعرفون ما عليه حال الأفلام.

ومـــا لا تعرفه هذه الفئات الرافضة بوضوح هو أن احتجاجاتهم لن تكون لها فائـــدة إلا إذا أدركـــوا أن هناك مجموعة أخرى ذات منبع عرقي وأخلاقي محدد تحول دون الاستجابة لاحتجاجات غير اليهود.

وكما بين الحاخام الذى أشرنا إليه، فإن المنتجين يستجيبون لطلبات اليهود على الفور.

فمـــاذا كـــان مصير شكاوى واحتجاجات غير اليهود من معلمين وسيدات نواد ومحررى صحف وضباط شرطة وقضاة ورجال دين وأطباء وآباء الجيل الصاعد؟ لا شيء!

ويمكـــن أن يظلـــوا يحاربون طواحين الهواء بقية عمرهم دون الوصول إلى نتـــيجة، إلا إذا واجهـــوا أنفســـهم بحقيقة عرقية غير سارة هى أن الأفلام يهودية. فالمسألة ليست مسألة أخلاق. فهذه قضية منتهية! إنها مسألة إدارة.

وإذا عـــرف الـــناس كـــنه هذا النفوذ ومن يقفون وراء هذا النفوذ الجبار لهذه "الأفلام"، فلن تبدو المشكلة بهذا القدر من الإزعاج.

(ديربورن إندبندنت، عدد ١٢ فبراير ١٩٢١م)

* * *